ISSN: (3006-8614)
E-ISSN: (3006-8622)
Journal of Alma'rifa for Humanities
available online at: https://uomosul.edu.iq/womeneducation/almarifa/

Employing the inheritance in the poetry of pride according to Abu Firas Al-Hamdani (D356)

Assist. Lecturer .Bidaa Khalaf Musa **Prof.Dr. Yusra Ismail Ibrahim**
University of Mosul /College of Education for women

***Corresponding author: E-mail :**
Yousra.shihab@uomosul.edu.iq

***Keywords*:**
Employment, Abu Firas, Al-Hamdani, pride, heritage.

ARTICLE INFO

Article history:
Received **10. Oct.2024**
Accepted **28.Nov.2024**
Available online **17.Mar.2025**

Email:
almarefaa.ecg@uomosul.edu.iq

A B S T R A C T

The research aims to shed light on the heritage As a supreme value, poets draw from it They are plentiful in the creativity of their texts and the enrichment of their emotional experiences expressing it in order to gain the character of comprehensiveness and originality, In addition, it provides the legacy of artistic means and suggestive energies that embodies the experience and conveys it to the recipient Dealing with heritage in this poetic depiction is to express it, not express it, Heritage has an artistic medium The creator expresses his pain, his hopes, and his pride Its implications and suggestions for personal and collective pride With Abi Firas Al-Hamdani And the reasons why pride dominates his hair highlighting his feats. © 2025AJHPS, College of Education for Girls, University of Mosul.

Journal of Alma'rifa for Humanities
Journal of Alma'rifa for Humanities

توظيف الموروث في شعر الفخر عند أبي فراس الحمداني (ت356هـ)

م.م. بيداء خلف موسى أ.د. يسرى اسماعيل ابراهيم
كلية التربية للبنات/ جامعة الموصل

الخلاصة:

يهدف البحث الى تسليط الضوء على الموروث بوصفه قيمةً عُليا ينهلُ منه الشعراء ويغترفوا من فيضه في ابداع نصوصهم واثراء تجاربهم الشعورية، والتعبير عنها لتكسبها طابع الشمولية والأصالة، فضلاً عن ذلك يوفر الموروث من الوسائل الفنية والطاقات الإيحائية التي تجسد التجربة وتنقلها الى المتلقي، فالتعامل مع التراث في هذا التصوير الشعري يكون بالتعبير به لا عنه، وللتراث وسيلة فنية يعبّر بها المبدع عن آلآمه وآماله ومفاخره بدلالاته وإيحاءاته في الفخر الذّاتي والجمعي عند أبي فراس الحمداني والأسباب التي جعل الفخر يسيطر على شعره مسلطين الضوء على مفاخره.

الكلمات المفتاحية: توظيف، ابو فراس، الحمداني، الفخر، الموروث.

الفخر والاعتزاز بالذات

إن العربي ذو أنفة بطبيعته لذلك كثر شعر الفخر على لسانه على امتداد العصور، وقد كانت الصحراء العربية خير بيئة لظهور فن الفخر وتطوره لما يشهده من صراع بين الانسان والطبيعة والانسان والانسان وبكل مظاهر القوة والعنف والبطولة يتجلى التنازع من أجل البقاء في كل صورة وقد اشتهر عدد من الشعراء في هذا الفن ومنهم عمرو بن كلثوم والأعشى وطرفة(محمد،(د.ت)،6).

يقول عمرو بن كلثوم:

ملأنـــا البحـــر حتـــى ضـــاق ومـــاء البحـــر نملـــؤه ســـفينا

اذا بلـــغ الفطـــام لنـــا صـــبي تخـــر لـــه الجبـــابر ســـاجدينا

(ابن كلثوم، 1996، 9).

يفخر الشاعر بقومه حتى ضاق البر والبحر بكثرتهم فهم رجال أشداء أقوياء ويؤكد أن صغارهم وفتيانهم لهم الشأن والقوة الشيء الكثير؛ فإذا بلغ منهم صبي فطامه فانه تخر له كل الجبابر ولاشك أن الشاعر هنا بالغ كثيرا في تفاخره وإذا كان ابن كلثوم يفخر بالجماعة فإن عنترة يتفاخر بنفسه إذ يقول مخاطبا عبلة:

هـــلا ســـألت الخيـــل يـــا ابنـــة إن كنـــت جاهلـــة بمـــا لـــم

يخبـــرك مـــن شـــهد الوقيعـــة أغشـــى الـــوغى وأعـــف عنـــد

(ابن شداد،1970، 176).

فالأسلوب تحضيض (هلا) يطلب عنترة من حبيبته ان تسأل الفرسان عما فعله في المعركة معبرا عن هذا بأسلوب مجازي (الا سالت الخيل) والحقيقة هي هلا سألت فرسان الخيل.

وقد خفت حدة الشعر في عصر صدر الاسلام لانشغال المسلمين بالدين الجديد وبالفتوحات والخطب الحماسية التي يحتاجها نشر الدين الجديد فتخلى الشعراء عن الفخر الشخصي وحصروا فخرهم بالإسلام وبالتغلب على الكفار وحب رسول الله (ﷺ)(محمد، (د.ت)،20). إذ يقول حسان بن ثابت:

عـدمنا خيلنـا إن لـم تروهـا تثيـر النقـع موعـدها كـداء

يبـارين الأعنـة مصـعدات علـى أكتافهـا الأسـل

(الأنصاري، (د.ت)،14).

وحضور ناء المتكلمين، يؤكد غياب الفردية إذ تحل محل الأنا النحن، وهذه النحن مهددة إلى جانب أن تحمل نزعة استشراقية مؤذنة بفتح مكة.

وأما في العصر الأموي، فعاد الفخر إلى سابق عهده في دولة تقوم على النزاع بين الأحزاب المتعددة وتضج بالمعارضة السياسية(محمد،(د.ت)،20)، إذ يقول الفرزدق:

إذا أغبـر افـاق السـماء كسـور الحـي حمـراء

وهتكـت الأطنـاب كـل لهـا تامـك مـن صـادق النـي

وجـاء قريـع الشـول قبـل يـزف وراحـت قبلـه وهـي

(الفرزدق، 1987، 381).

يفتخر الفرزدق بكرم قومه وتقديمهم الطعام للضيوف بينما ينام الآخرون عن القرى.

أما في العصر العباسي فقد بلغ الفخر ذروة مجده وذلك بتأثير العوامل المختلفة التي أثرت في شكل حياة المجتمع الإسلامي ،اذ تطور المجتمع وتحول من الصحراء إلى المدينة وعرف الاستقرار وامتد الفتح الاسلامي وتدفقت الثورات ونشأت طبقات جديدة عربية الأصل ومولدة إلا أنها تتميز بتفكير جديد واختلط العرب بغيرهم من الأمم و أسهم الأعاجم في إدارة الدولة وأقبلوا على الدين الجديد وتعلموا اللغة الجديدة ونبغ الكثير منهم(محمد،(د.ت)،6).

إن العصر العباسي كان مسرحا لتفاعل مؤثرات عدة أهمها انتقال العاصمة من دمشق إلى بغداد وتمازج الثقافات والإقبال على العلوم والمعارف فضلا عن الميل للترف والبذخ، وأن هذا الاضطراب الفكري ولد في قلوب الناس نزعة الشك والالحاد والزندقة ودفعهم نحو المجون، فاصبح للفخر اتجاهات منها الفخر الشعوبي والفخر بالمجون فضلا عن تيار آخر يمجد القيم الإنسانية إلى أن

وصل الفخر حد المبالغة عند المتنبي(محمد،(د.ت)،6).

تميز شعر أبي فراس بالعزة والشموخ، وثمة مبررات لتساميه على غيره إذ ينحدر من أسمى قبائل العرب، وكان أحد أمراء بني حمدان وقائد للجيوش الحمدانية في سن مبكرة، فعلى الرغم من صغر سنه فقد تولى منبج وعمره حين ذاك ستة عشر عاما فقط.

فهذه المرتكزات التي جعلت منه شخصية فريدة تميل إلى الزهو والتسامي ويظهر عند هذه الشخصيات نوع من روح العزة والأنفة، التي جسدها الشاعر في شعره، وان الفخر في الشعر العربي لم يكن موضوعا محدثا في عصر أبي فراس الحمداني وكان فخر أبي فراس امتداد لسابقيه ولكن روح عصر أبي فراس والظروف المحيطة به اكسبته نوعا من التفرد في فخرياته، فمن العوامل التي كانت وراء النتاج الفخري هي فروسيته وشجاعته ونباهة عقله (عبدالمتعال،1982، 230).

وإن أبرز أغراض شعر أبي فراس على الاطلاق هو الفخر الذي يبدو في ديوانه غرضا أساسيا وأصيلا وبارزا إذ يحتل الصدارة بين موضوعات شعره الأخرى والفخر عند أبي فراس كان فخرا فرديا وجمعيا، فالنوع الأول الفخر الفردي هو الفخر بنفسه اما النوع الثاني فهو الفخر الجمعي وهذا النوع من الفخر وهو الفخر بقومه، فقد هيمن وطغى على فخره وقد وامتزج فخره ببقية أغراض شعره كالغزل والشكوى(عبدالمتعال،1982، 234).

أولاً: الفخر الفردي

لقد كان الفخر الفردي من أبرز الفنون الشعرية في ديوان أبي فراس الحمداني، إذ سكنت معانيه في جل زوايا أبياته وألقت بضلالها على قصائده وما ذلك إلا لتوفر دوافع الفخر في حياة أبي فراس سواءً أكانت دوافع ذاتية اختصت بها شخصيته أم دوافع اختصت بها قبيلته، ويحاول الشاعر تكوين المعاني عبر تدعيمها بالأحداث، إذ يقول:

ولــم يبــق منــي غيــر قلــب وعــود علــى نــاب الزمــان

وقد علمت أمي بان منيتي بحد السنان أو بحد
كما علمت من قبل أن بمهلكة في الماء أم
لقيت من الأيام كل عجيبة وقابلني دهري بوجه
ولم ينتقص مني تشعب ولا كرهت نفسي لقاء

(الحمداني، 1944، 35).

وفي إطار الفخر أيضا يتحدث الشاعر عن شجاعته محيل ذاكرتينا إلى بطل ضرب به المثل عبر دخوله في حوارية مع نفس ذلك البطل. وأبو فراس لا يمتلك إلا شيئين: الأول داخلي هو القلب الذي لا يلين ولا يعرف الخوف، وأما الثاني: فهو الخارجي فيتمثل بإبعاده الخارجية التي تمتلك قوة لا تقهر اطلاقا يؤكد هذا صمودها أمام نوائب الدهر ونكباته .فأبو فراس رجل منشغل بالحرب ولذا فان أمه متيقنة انه لن يموت على فراشه وإنما سيقتل جراء خوضه المعارك والوقائع مؤكدا يقينيه الأم من خلال استحضاره شخصية تاريخية (أم شبيب) إلا أن الفارق بين المرأتين هي أن أم شبيب كانت يقينيتها ناتجة عن رؤية منامية فحين أن أم أبي فراس كانت يقينيتها ناتجة عن معطيات واقعية اذ استشرفت موت ابنها من خلال معطيات الواقع المعيش.

وفي موضع أخر نجد الشاعر يتكأ على رموز تاريخية ليمنح موقفه مصداقية وهذه المصداقية تحمل فخرا إلى جانب الاتكاء على الشخصيات التاريخية الذي يعطي مبررا لتفضيل الشاعر الأسر على الفرار، إذ يقول:

تحملت خوف العار وأملت نصرا كان غير قريب
وللعار خلى رب غسان وفارق دين الله غير مصيب
ولم يرتقب في العيش ولا خف خوف الحرب قلب
رضيت لنفسي كان غير ولم ترض نفسي كان غير

(الحمداني، 1944، 35).

يفخر أبو فراس بتحمله معاناة الأسر وتجمله بصفات الفرسان، ويفر من

ذل العار هنا إشارة للافتخار بالذات لأنه تحمل الأسر ويتأمل نصرا قريبا يدل على أنه كان يواجه أشد الأعداء شراسة ودلالة على قوة المعركة التي كان يخوضها، لان النصر أشبه بالمستحيل، فالمعركة كانت بين قوتين غير متكافئتين الجيش الرومي الكبير يقابله سبعون فارسا من المسلمين ويستحضر من الموروث بذكر حادثة (جبلة بن الأيهم) الذي فارق دين الله لكي لا يتحمل ذل العار وفق منظور أبي فراس ولكن جبلة لم يكن مصيبا بتركه الإسلام كونه لم يتحمل ذل العار وهذا ما لا تقبله النفس الأبية وان ذكر موقف(جبلة) لا يعني إعجاب الشاعر به اسلفنا فهو (غير مصيب) إلا أن استحضاره جاء تأكيدا على أن الرجال العظام قد يرتكبون الأخطاء المهلكة خوفا من لحاق العار بهم، وان كانوا مجانبين للصواب فهناك تماثل بين موقف الشاعر وموقف جبلة إذ إن كلاهما قد عرض نفسه للخطر وان اختلفت الغاية لأن الشاعر كان مدفوعا نحو غاية نبيلة وهي الذود عن العروبة والإسلام بينما أصغى جبلة لتكبره فارتد عن الحق وركب الضلالة(إبراهيم، 2003، 6-7).

ثم ينتقل الشاعر بنا إلى حادثة عيسى بن مصعب الذي رفض العار وقتل بالمعركة ولم يرض بالفرار ويعود إلى شخصية أخرى وهو حبيب بن مظاهر الذي رفض ترك الحسين في معركة الطف وبقى يقاتل معه إلى أن قتل.

وفي موضع آخر يفخر الشاعر بشجاعته وقوة بأسه في المعركة، إذ يقول:

الا ليـــت قـــومي والأمـــاني شـــــهودي والأرواح غيـــــر

غـــداة تنـــاديني الفـــوارس ترد إلـى حد الظبا كل ناكث

أ حـــارث ان لـــم تصـــدر ولـــم تـــدفع الجُلـــى فلســـت

(الحمداني، 1944، 213).

نقف امام شاهد جديد يفخر الشاعر بشجاعته وفروسيته؛ فهو يصف شجاعته وقوة جأشه في المعارك التي كان يخوضها ويخاطب نفسه بانه يرد الرمح قانيا مخضبا بالدماء وإلَا فهو ليس بفارس، ويتكرر اسم حارث في البيت مرتين بأسلوب حواري يخاطب فيه ذاته باسمها (حارث) مبعدا الكنية ليظهر

الاسم مانحا إياه شخصا آخر مبينا أن عليها ان تقاتل وتدافع بشراسة، اما لفظة حارث الثانية فقصد بها جده، اذ ان جده قد انتهى ولكن استحضر أفعاله فهو لا ينتسب إلى الحارث إن لم يكن مقاتلا شجاعاً.

يفخر الشاعر بنفسه وقوعه اسيرا كونه لم يرض بالفرار لأنه إذا ما فر سيلحق به العار الأبدي كما لحق العار بعمرو بن العاص...الذي دفع المنية عن نفسه بإظهار عورته، وبهذا

يقول أبو فراس:

هـو المـوت فـأختر مـا عـلا فلـم يمـت الإنسـان مـاحيي

ولا خيـر فـي دفـع الـردى كمـا ردهـا يومـا بسـؤته

يمنـون ان خلـوا ثيـابي وانمـا علـيّ ثيـاب مـن دمـائهم

وقـائم سـيفي فـيهم إنـدق وأعقـاب رمحـي فـيهم حطـم

سـيذكرني قـومي اذا جـد وفـي الليلـة الظلمـاء يفتقـد

فـإن عشـت فـالطعن الـذي وتلـك القنـا والبـيض

(زايد، 1997، 209).

يفخر أبو فراس بأنه أُسر ولم يصبه أي عار ويستحضر شاهد من الموروث التاريخي حادثة عمرو بن العاص يوم لقي علي بن ابي طالب (ﷺ) "فالشاعر لم يقدم رؤيته بشكل تقريري جاف وإنما صاغها عبر تشكيل جمالي من خلال ذوات وهمية لائمة (يقولون) لإيثاره الأسر على الفرار، فالشاعر لا يرتضي ما اقدم عليه عمرو بن العاص (ﷺ) عندما التقى علي بن ابي طالب (ﷺ) فكشف عورته وانه لم ينج من الموت لكنه اخر منيته بينما يظل موقفه مشين، ثم يفخر أبو فراس بنفسه فارسا مقداما شجاعا كونه الأسير الوحيد الذي لم تسلبه الروم ثيابه ولان من عادات الروم انها كانت تسلب ثياب الأسرى حيث قالوا (ما أسرنا أحدا لم نسلب ثيابه غير أبي فراس "شهادة تدل على شجاعته وفي قوله (علي ثياب من دمائهم حمر) كناية عن عدم تعريته ولو حتى عروا ثيابه فان

دماء الروم تستر عورته، ثم يذكر أيامه كيف كان يقاتل ويفتك بهم ودمائهم لا زالت على ملابسه. كيف كان يزلزل الأرض من تحت اقدامهم وكيف لا وهو قائد ويذكر ان قومه سيذكرونه اذ جد جدهم ويذكر حادثة عمرو بن العاص (ﷺ) لإقناع المتلقي بصحة الفكرة التي يطرحها النص ولأنه فارس و قد اعتاد الصورة البصرية للون ، والثياب الحمر الجميلة التي تلبس، إنما اداة حصر، والدماء من مخرجات الحرب للدلالة على كثرة تقتيل الأعداء واختلطت دماؤهم في ثوبه للكناية عن الشجاعة وأن الموت واقع لا محال عليهم وكثرة استخدامه للضمير الياء للدلالة على الأنا (ثيابي، سيفي، رمحي، قومي) فالانا تظهر بكثرة في قصائد ابي فراس لتدل على الفخر والعظمة والقوة.

وخارج الاطار الحربي نجد أبا فراس يتفاخر بقدرته القولية وفعله أيضا مادحا في الوقت نفسه سيف الدولة قائلاً:

وانــي لمقــدام وعنــدك هائــب وفــي الحــي ســحبان وعنــدك

(الحمداني، 1944، 290).

يعتمد أبو فراس في هذا البيت على الجملة الأسمية (واني لمقدام) والياء يقصد بها نفسه واللام توكيدية ومقدام خبر ان مرفوع و(هائب) مبتدأ و(عندك) خبر مقدم على المبتدأ (باقل)، وابتدأ القصيدة بالذات (اني) ثم أراد المخاطب (عندك) ثم أراد (الحي) وكون الجملة الأسمية اثبت من الجملة الفعلية (اني مقدام) مؤكدا ذلك من خلال أداتي التوكيد إن واللام، ولكن هذا الزعم يتلاشى من خلال الجملة الإسمية (عندك هائب) مقدما الخبر عندك على المبتدأ (هائب) دلالة على الاختصاص فأبو فراس لا يكون هائبا الا بحضرة سيف الدولة، ويظل استصغار الذات حاضرا أمام سيف الدولة لا غيره مهيمنا على فضاء البيت ففصاحة أبي فراس (في الحي سحبان) تتلاشى وتنقلب إلى الضد، إذ يتحول الفصيح سحبان إلى عي باقل وحضور الشخصيتين التاريخيتين سحبان وباقل يتضمن دلالتين الأولى: هي فصاحة أبي فراس التي تعلو فصاحة الأخر والثانية :اضمحلالها امام سيف الدولة.

إن الكرم من شيم العرب لكن الجود والتضحية بالنفس أعلى درجات الكرم وهذا ما فعله أبو فراس عندما جاد بنفسه في سبيل قومه إذ يقول:

وعلم فوارس الحيين أني قليل من يقوم لهم مقامي
وفي طلب الثناء مضى وجاد بنفسه كعب بن مام
ألام على التعرض للمنايا ولي سمع أصم عن الملام

(الحمداني، 1944، 374).

يستحضر الشاعر رموزا من العصر الجاهلي مستدعيا شخصيات عدة من الرموز في الجود والكرم والثناء والايثار بالنفس ويستحضر حادثة بجير ويتبنى رواية تاريخية من بين الروايات الكثيرة للحادثة التي تقول بطلب بجير للثناء والجود بنفسه لإيقاف الحرب بين بكر ووائل ولان هذه الرواية أقرب إلى نفس الشاعر تبناها دون غيرها من الروايات ثم يحيل المتلقي إلى رواية أخرى وهي ايثار كعب بن مام على نفسه والايثار بالنفس هو أعلى درجات الكرم، إذ امتنع عن شرب الماء في موقف كان الماء شحيحا حتى مات عطشا وان استحضار أبي فراس لهذه الشخصيات التي سبقته يبرر فعله بإجادته بنفسه.

ثانياً: الفخر الجمعي

ثم ينتقل بنا إلى الفخر الجمعي وهو الفخر بقومه، ويفخر الشاعر بأجداده ثم ينتقل الشاعر إلى الفخر بأمجاده وخاصة البطولة من ذلك يذكر وقوعه في الأسر يعد مفخرة له، اذ يقول:

وأنا الذي علم الأنام بأنه لم ينمه إلا كريم سيدُ
حمدان جدي، خير من وأبي سعيد في المكارم
اعلى لنا لقمان أبيات العلا واناف حمدان وشيد احمدُ
يعطي اذا ظن السحاب ويجير ان جار الزمان
والمجد يوجد عندنا بأرومةٍ والعار والفحشاء ما لا يوجدُ
والفخر يقسم اننا أربابه دون البرية والمكارم

هـذي محبـرة يشـاكل نظمهـا عقـدا عليـه لؤلـؤ وزبرجـدُ

وكـان شـاهدها حبيـب لـم يقـل ردت اليـه الجاهليـة مهـددُ

(الحمداني، 1944، 88).

يفخر أبو فراس بأجداده حمدان وسعيد ولقمان واحمد ويعدد مكارم اجداده، ولم يذكر كم قتلوا من أعدائهم إنما يبدأ بجده حمدان وكأنه يريد أن ينوه إلى رأس القبيلة الحمدانية وأن الكرم والمجد عندهم موروث ولم يأت اعتباطا إنما جاءهم وراثة من جده الأكبر ثم يتجاوز المعطيات الاسلامية بقوله (خير من وطئ الثرى) لان هذه الصفة خاصة بالرسول محمد (ﷺ) وان الشاعر نسبها إلى جده ثم يتعالى بجده لقمان وما شيد جده أحمد وأعطى للفخر صفة من صفات الانسان بقوله المجد يقسم وهذه استعارة من خلال أنسنة المجد وهو يقسم بأنهم أربابه والمكارم هي الشاهد، ثم يشير إلى ظاهرة في النص فضلا عن فخره بأجداده وما انجزوه ويفتخر بشاعريته ويشبه شعره بالعقد الذي عليه لؤلؤ وزبرجد لحسن سبكه ولو أن الشاعر أبا تمام شاهد هذا العقد لانبهر بجماله وفي هذا النص يمزج بين الفخر الجمعي والفخر الذاتي.

ونجد لهذه الأبيات دلالة واضحة فيما يشعر به أبو فراس من العزة والفخر بالنسب ومكانتهم بين القبائل، اذ يقول:

وإذا فخـرت فخـرت بالشّـم شـادوا المكـارم مـن بنـي

نحـن الملـوك بنـو الملـوك ومعـادن السـادات مـن

والمجـد يعلـم اننـا أركانـه والبيـت معتمـد علـى الأركـان

(الحمداني، 1944، 415).

يفخر أبو فراس بأجداده الأولين الذين شيدوا المكارم من بني حمدان وانهم هم الملوك بنو الملوك واستحضر شخصية عدنان التي تنسب اليه عروقهم مفتخرا بقومه من حيث أصالة النسب والسيادة ثم شخص المجد في قوله (والمجد يعلم أننا أركانه) وأعطاه صفة الانسان لان الانسان وحده مختص بالعلم من

خلال توظيفه الأسلوب الاستعاري.

ويوظف الشاعر الموروث التاريخي في الاعتداد بنسبه بالجمع بين الفخر بأعمامه وأخواله مستندا على شخصيات اسلامية وبيوتات مختلفة، إذ يقول:

وفرعـــي فرعـــك الزاكـــي واصـــلي اصـــلك الســـامي

لإســمعيل بـــي وبنيـــه فخـــر وفـــي اســـحق بـــي وبنيـــه

وأعمـامي ربيعـة وهـي صـيد واخـــوالي بالصـــفر وهـــي

(الحمداني، 1944، 28).

جمع أبو فراس في هذا النص بين أمور عدة معتمدا على الموروث التاريخي مفاخر بنسبه العربي من جهتي النبيين إسماعيل وهو جد العرب واسحاق وهو جد الروم فهو جمع العرب من جهة أعمامه بني حمدان وهم أفضل الأقوام وأخواله بني الأصفر وكذلك أفضل الأقوام فهو يباهي بنسبه من جهة أخواله وأعمامه ويصف أعمامه بالصيد واخواله بالغلب وهي أصالة النسب على المستوى الانساني ومزج بي فخر الجنسيتين السامي ربيعة والآري بني الأصفر ومن يجمع هذه الصفات من حقه أن يتفاخر بنسبه وبأصله الزاكي المعلى، اذ يؤكد صلة القرابة مع سيف الدولة بقوله وفرعي ثم ينتقل إلى التفصيل في البيتين الثالث والرابع اللذين يكونان صورة النسب بتداخل بينهما بالإشارة من خلال الشخصية فإسماعيل عليه السلام يمثل نسب الشاعر بذكر بني حمدان واسحاق، يمثل أخواله بذكر بني الأصفر.

يفخر أبو فراس بكرم أجداده، إذ يقول:

لمـــن الجـــدود الأكرمـــو ن مـــن الـــورى، إلا ليـــه

مـــن ذا يعـــدّ، كمـــا أعـــد مـــن الجـــدود العاليـــة

مـــن ذا يقـــوم لغيـــره بـــين الصـــفوف مقاميـــه

(الحمداني، 1944، 432).

يفخر الشاعر بأجداده، وبكرمهم وانهم هم أصحاب الكرم وهم القادة

ويتساءل ويستفهم أنه من يقوم لقومه ويقف معهم كما فعل أجداده وفي القصيدة استخدم حرف الاستفهام(من) يتضمن معنى النفي (أي لا يوجد من يقوم مقام قومي) ويفتخر بأجداده وعظمتهم وأنه من يقوم للقوم ويسد حاجاتهم لولا وجود اجداده الكرماء، وكثيرا ما افتخر أبو فراس بنسب أجداده بني حمدان وبأمارتهم الحمدانية إذ تأتي معاني الفخر مفصلة يذكر فيها اعتداده بأصله وفرعه إذ يقول:

فأهلك من اصفى وودك ما وإن نزحت دار وقلت

تبوأت من قرمي معد مكانا ارانـي كيف تبنى

لئن كان من اصلي سعيد ففرعي لسيف الدولة القرم

(الحمداني، 108،1944).

يفخر أبو فراس بأصله المعدي العدناني يتفاخر بحاضره الأسرة الأنية وماضي الأجداد من خلال الإشارة إلى أبيه سعيد وابن عمه سيف الدولة، وكان الموروث حاضرا في بناء معاني الفخر بما يقدم للنص من قيم ترتبط بالنسب والأصل الذي يكاد سمة من سمات بناء النص عند الشاعر أبي فراس الحمداني الذي يكثر فيه من توظيف تاء المتكلم (تبوأت وياء المتكلم (قومي وأراني وأصلي وفرعي).

واحيانا يتعالى ويعتز كثيرا بنسبه من خلال حديثه عن موقع قبيلته نسباً ومع القبائل العربية الأخرى إذ يقول:

أأجعل في الأوائل من نزار كفعلك أم بأسرتنا افتتاحي

وهل في نظم شعري من لمغدى في مكانك أو مراح

أمن كعب نشأ بحر العطايا وأكرم مستغاث مستراح

(الحمداني، 62،1944).

يفخر الشاعر بأجداده الأولين ويتساءل هل يفتتح فخره بالأوائل من نزار وبني تغلب أم يفتخر بأسرته ويفتتح الفخر بهم ويشبه كرم أجداده بالبحر من كثر عطاياه فهم أكرموا المستغاث ووفروا لهم كل سبل الراحة ويصف أجداده وكرمهم

بالبحر وبهذا أعلى من شأن نسبه والشاعر يبدو حائرا بمن يبدأ فخره بالحاضر المليء بالأمجاد أم بالماضي المليء بالجود والكرم والشجاعة.

يفخر بنسب قومه وكرمهم وليس هناك من هم أفضل وأكرم نسبا منهم إلا رسول الله (ﷺ)، إذ يقول:

وإنـــي لمـــن قـــوم كـــرام بهـــا ليـــل ابطـــال كـــرام

ولـــولا رســـول الله كـــان لأشـرف بيـت مـن لـؤي بـن

(الحمداني، 1944، 49).

تباهى الشاعر بأصل قومه وكرمهم وكرر كلمة (كرام) في البيت الاول ليدل على كرم قومه "ويتميز أسلوب أبي فراس بعدة خصائص أهمها التكرار والتكرار وسيلة من الوسائل اللغوية التي يمكن أن تؤدي دوراً تعبيرياً واضحاً في القصيدة، فتكرار لفظة ما أو عنصر ما يوحي بسيطرة هذا العنصر المكرر على فكر الشاعر"(عبدالمتعال، 402،1982).

وان قوم رسول الله من نسل لؤي بن غالب هم آصال وأكرم من قومه وأنه لا يوجد أشرف من قوم رسول الله ولولا رسول الله لكانوا هم أشرف الناس.

وفي جانب أخر يفخر الشاعر ويتعالى على كل الناس المنشغلين بملاهي الدنيا في حين أن قومه ينشغلون بمكارم الأخلاق كالشجاعة والكرم، وذلك بقوله:

لـــئن خلـــق الأنـــام لحســـو ومســـمعة وطنبـــور وعـــود

فلـم يخلـق بنـو حمـدان إلا لمجـــد أو لحمـــد أو لجـــود

(الحمداني، 94،1944).

يفخر الشاعر بقبيلته الحمدانية ويوازن بينهم وبين بقية الناس، فالناس خلقوا لحسو كأس وللاستماع للموسيقى والطرب، وأما قبيلته فخلقوا للمجد والحمد والجود فشتان بين من خلق للمجد ومن خلق للطرب واللهو وبذلك أثبت تفوقهم على القبائل الأخرى، و يوظف أبو فراس الحمداني من الموروث التاريخي مفاخر أجداده إذ يقول:

ويجمعنـــا فـــي وائـــل عشـــرية وود وأرحـــام هنـــاك شـــواجر

فقــل لبنـــي ورقـــاء ان شـــط فـلا العهـد منسـي ولا الـود
وكيـــف يـــرث الحبـــل أو وقـد قربـت قربـى وشـدت
أيشـغلكم فـي وصـف القـديم مفـاخر فيهـا شـاغل ومـأثر
لنـا فـي أول المكرمـات وآخـر وبـــاطن مجـــد تغلبـــي
ابـا أحمـد مهـلا اذا الفـرع لـم فـلا طـبن يـوم الافتخـار

(الحمداني، 109،1944).

نظم أبو فراس هذه القصيدة ردا على أبي الورقاء الشيباني الذي هنأ بها سيف الدولة بانتصاره على قبيلتي طي وكليب، وأفتخر بأيام تغلب وبكر في الجاهلية فرد عليه أبو فراس بهذه القصيدة التي تعد من أطول قصائده وسرد فيها انتصارات قبيلته في الاسلام مشيرا إلى أنه لم يذكر الا فقط الأيام البارزة لأن مفاخر قبيلته لا يمكن ان تحويها كتب كما تربطه بقبيلة وائل ود وأرحام وإن بعدت المسافة بينهم ولكن الود يبقى قائما أو شبه علاقته بهم بالحبل المتين الذي لا يرث ولا ينقطع، فالأواصر بينهم مشدودة وقوية ثم يتساءل كيف تشغلكم أمجاد اجدادنا القدماء وان مجدنا لايزال قائما ماثلا أمام أعينكم كيف لا تتفاخرون به، وأن المجد التغلبي كان ولايزال في الظاهر والباطن.

يعاتب الشاعر (أبا أحمد) فيتعجب كيف يفتخر بالأصل وهو القديم ويترك الفرع وهو الجديد وتفاخر بالمجد الذي لم تحضره وتترك المجد الذي قائما امام عينيك، إذ يقول:

أتســمو بمـــا شـــادت أوائـــل وقـد غمـرت تلـك الأوالـي
وهـل يطلـب العـز الـذي هـو ويتـرك ذا العـز الـذي هـو
علـيّ لإبكـار الكـلام وعونـه مفـــاخر تفنيـــه وتبقـــى
انـــا الحـــارث المختـــار مـــن اذا لـم يسـد فـي القـوم الا
فجـدي الـذي لـمَّ العشـيرة وقـد طـار للتفـرق فيهـا

تحمـل قتلاهـا وسـاق دياتهـا حمــول لمــا جــرت عليــه

(الحمداني، 109،1944).

مؤكدا أن المجد الوائلي التغلبي الحاضر قد غمر المجد القديم وهو بذلك أعلى الأبناء على الأجداد ويؤكد على ذلك في قوله (وقد غمرت تلك الأوالي الأواخر) أي أفعال الأبناء غمرت أفعال الأجداد ثم يعود ليفتخر بنفسه وبنسبه وأنه هو من أخيار الأقوام وهو سيدهم، وستذكر من الموروث التاريخي قصة جده الذي دفع ديات القتلى ومنع الحرب وحقن الدماء التي كادت تسيل لولا حكمته وعطاؤه.

يشير أبو فراس في رائيته إلى كفاح عمه الحسين، وما حققه من انتصارات للخلافة، أصالة اذ يقول:

وعمــي الــذي اردى الــوزير ومــا الفــارس الفتــاك الا
اذاقهمـا كـأس الحمـام مشـيع مثــاور غــارات الزمــان
يطـيعهم مـا أصـبح العـدل ولا طاعــة للمــرء والمــرء
لنــا فــي خــلاف النــاس وقــد جــرت البلــوى عليــه
وســار إلــى دار الخلافــة فحرقهــا، والجــيش بالــدار
اذل تميمـا بعـد عـز وطالمـا اذل بنــا البــاغي وعــز
وصــدق فــي بكــر مواعيــد وثــور بــأبن الغمــر والنقــع
واقبـل بالشـاري يقـاد امامـه وللقيــد فــي كلتــا يديــه
وشـن علـى ذي الخـال خـيلا سـماوة كلـب بينهـا وعراعـر

(الحمداني، 387،1944).

تعد هذه القصيدة وثيقة تاريخية تنطق بأمجاد بني حمدان وما سجلوه من مأثر عسكرية حتى نزلوا منازل الحكم واستقلوا بولاياتهم، وغدوا متصرفين فيها. فبعد قوادا عند الخليفة يضرب بهم المناوئين والخارجين على الخلافة حينا ويمدون يد الطاعة على الخلافة حينا فها هو أبو الهيجاء (عبد الله بن حمدان)

والي الموصل (سنة 239هـ) كأول امارة لبني حمدان هناك ويظل مع الخليفة مد وجزر حتى استقربه الأمر في بغداد تحت نظر الخليفة(آل عجيم، 2008، 6).

يفخر الشاعر بأصالة خيولهم في المعارك وذكر الخيول الأصيلة، إذ يقول:

بكل غلام من نزار وغيرها عليه من الماذي درع

ونجيب ما ألقى الوجيه إلى كل ما أبقى الجديل

ونعتقل الصم العوالي انها طريق إلى نيل المعالي

(الحمداني، 209،1944).

وزعم الشاعر امتلاك الحمدانيين لخيول هي جديل وشدقم إذ نقلهم من طور العامة إلى طور الملوك كونهم امتلكوا ما كان يمتلكه الملك النعمان "وقد كانت الخيل عدة الفارس ومركبه للهو وخاصة الصيد والطرد وفرس امرئ القيس مشهورة ولزهير وصف جيد للفرس والصيد شبيه بصنيع أمرئ القيس، واما الابل فكانت كناية أو رمزا لكثير من المعاني الإنسانية لأنها من أشبه خلق الله بهم كبرا وصبرا ورقة وإلفا"(المؤمني، 2010، 87)..

لم يكتف ابو فراس بالفخر بنفسه وأجداده وإنما افتخر بعمه المزرنف ذاكرا قصة متمما بطولاته، اذ يقول:

وعمي الذي سمته قيس وقد شجرت فيه الرماح

ورد ابن مزروع ينوء وفي صدره ما لا تنال

(الحمداني، 1944، 112).

يفخر الشاعر بعمه والفخر عنده ليس بالشجاعة فحسب وانما بالكرم والنجدة والمروءة ومساعدة المحتاجين وقد جمع عمه كل هذه الصفات "فهو أسد هصور يدافع عن الثغور والمواقع من أجل الإسلام والمسلمين ويحارب الروم

الطامعين بأرض الإسلام"(المروة،(د.ت)،55)، وفي ذلك اعتزاز بالنفس بذكر شجاعة عمه، ولم يكتف الشاعر بالفخر بأجداده وبنفسه وانما بعمه وكأنه يريد أن يوصل فكرة الشجاعة لم تأته بين ليلة وضحاها إنما هي متأصلة عندهم وهي موروثة من أجداده إلى أعمامه وأبيه وصولا اليه ويذكر من الموروث التاريخي عمه (المزرنف) وان سبب تسميته بالمزرنف "تخترق السهام وتشرع اليه فلا تعلقه فسمي يومئذ المزرنف ووجد في صدره أربع وعشرون طعنة"(الأمين،(د.ت)،396/6) وعمه كان له في كل مكان موقعة وكأنه خلق للحرب فقط، ويعدد الشاعر الوقائع والمعارك التي خاضها وأنتصر فيها وأن هذه القصيدة سجل تاريخي يبين فيها قوة قومه وشدة بأسهم وكان النصر بجانب عمه وقومه لانهم أصحاب دين وأعمامه هم حماة الملك وحماة الديار والعباد وهي معان لم تفارق الشاعر وبدا ذلك واضحا في حضورها المتواصل.

الخاتمة

كشف البحث عن أهمية الموروث في شعر الفخر بوصفه مادة زاخرةً بالطاقة المتجددة وقدرة الحضور دائماً عبر صفتي التعبير بالتراث والتعبير عنه، سواء أكان ذلك التعبير والاستدعاء بالفخر الذّاتي أو الجمعي.

إنّ الفخر في شعر أبي فراس هو الأكثر تكراراً واخذ مساحة واسعة من شعره ويبدو هذا طبيعياً نظراً للحياة التي عاشها كونه أميراً وفارساً.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

❖ إبراهيم، يسرى إسماعيل (2003). ***الاستحضار التاريخي في روميات أبي فراس الحمداني***. مجلة آداب الرافدين، العدد 37. جامعة الموصل.

❖ ابن شداد، عنترة (1970). ***الديوان***. (تحقيق: محمد سعيد مولوي). ط1. بيروت: المكتب الإسلامي.

❖ ابن كلثوم، عمرو (1996). ***الديوان***. ط2. (تحقيق: اميل بديع يعقوب). بيروت: دار الكتاب العربي.

❖ آل عجيم، محمد يحيى مفرح (2008). ***صورة سيف الدولة في شعر أبي فراس الحمداني***. رسالة ماجستير. إشراف: الدكتور مصطفى حسن عناية. المملكة العربية السعودية: جامعة أم القرى.

❖ الأمين، محمد الأمين (د.ت). ***أعيان الشيعة***. (د.ط). (تحقيق: حسن الأمين). بيروت: دار المعارف للمطبوعات.

❖ الأنصاري، حسان بن ثابت (د.ت). ***الديوان***. ط1. (تحقيق: عبدالله سنده). بيروت: دار المعرفة.

❖ الحمداني، ابي فراس(1944). ***الديوان***. (د.ط). (تحقيق: سامي الدهان). بيروت.

❖ زايد، علي عشري (1997). ***استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر***.(د.ط). القاهرة: دار الفكر العربي.

❖ عبدالمتعال، القاضي نعمان (1982). ***الموقف والتشكيل الجمالي***. (د.ط). بغداد: دار الثقافة للنشر والتوزيع.

❖ الفرزدق، (1987). ***الديوان***.ط1. (تحقيق: علي فاعور). بيروت: دار الكتب العلمية.

❖ محمد، راج الدين (د.ت). ***الفخر في الشعر العربي***.(د.ط). بيروت: دار الرتب الجامعية.

❖ مروة، محمد رضا (د.ت). ***أبو فراس الحمداني الشاعر الأمير***. رسالة

ماجستير. بيروت: دار الكتب العلمية.

❖ المؤمني، عبدالمالك (2010). ***التجربة الإنسانية في روميات أبي فراس الحمداني***. (د.ط). بيروت: دار الكتب العلمية.